

# المسلمون في الصين

معالِم وخطوط

## للأستاذ محمود شاكر

يجد سكان السهول عناء في ارتقاء الجبال ، ويلاقي قاطنو المناطق الباردة مشقة في سكنى البقاع الحارة ، ويخاف أهل البوادي ركوب البحر ، ويصعب على المرء حياة لم يألفها وعيشة لم يحيها ، فشديد على الإنسان ما لم يعوّد ، ولكن الصعاب تذلل ، والمشقة تزول ، والعناء يخف على قدر الهمة ونبل الغاية وشرف المقصد ، ولم يعرف التاريخ غاية أنبل ولا مقصدا أشرف من غاية المؤمنين ومقصد أصحاب العقيدة كما لم يعرف همة أعلى من همة المسلمين الأوائل .

وغيرها من المرتفعات الشامخة ، تلك الحواجز المنيعه والحدود الطبيعية لم تحل دون تقدمهم ، ولم تقف أمام هدفهم ومقصدهم ماداموا لا ينظرون الى الأرض ، ولا يفكرون إلا في الجنة ، ولا ينتظرون النصر الا من الله ، فلو كانت غايتهم السلب والنهب أو الفتح والقتل أو الاحتلال والاستعمار لثقلت بهم الخيل وحطت بهم الهمة وفترت فيهم العزيمة ، ولو كانت غايتهم الوصول الى أماكن منيعه تقيهم شر الجوار ، وتدفع عنهم خطر الأعداء لكانت هذه الحدود أفضل ما أوجدته قدرة الله ولكانت الفتوحات قد توقفت عند أقدامها واكتفت بما سجلته من انتصارات ، وكما اجتاز

خرج الغزب المسلمون من جزيرتهم الفسيحة الواسعة ومنطقتهم اللاهبة ، وانساحوا الى كل الجهات يرفعون راية الايمان ، ويرفضون عبودية الا الله ، وينادون بالتححرر من عبودية العبيد وعبودية الشهوة والهوى ، لم يقف امام تحقيق غايتهم شم الجبال وصعوبة المناخ وطول الطريق وبعد السفر .

فبعد أن فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٥ هـ ، ووصلوا الى حدودها الشرقية ، الى سفوح تلك الجبال الشاهقة السامقة ، أعلى جبال العالم هناك حيث تنتصب هضبة بامير التي تسمى سقف العالم وجبال تيان شان



بترابهم ، ولم يخافوا على أهلهم من بعدهم حيث وليهم الله ، فلو فكروا لاضاعوا النصر وخسروا المعركة ، وعادوا الى الوطن الذي ارتبطوا به ، ينتظرون الغزاة لتستذلهم ، وتطأ ديارهم ، وتجوس خيول أعدائهم أرضهم ، ولقد طلب المسلمون الموت فوهبت لهم الحياة وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر من السماء .

وعندما ارتبطوا بالارض واخذوا اليها اضاعوا أرضهم وأذلهم الله حتى سلط عليهم شيطان الأفاق « ولو شئنا لرفعنا بها ولكننه أخذ الى الارض واتبع هواه » .

انحدر المسلمون على السفوح الشرقية لتلك الجبال يرفعون راية الاسلام وينشرونه بين السكان الترك وفتح قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة كاشغر عام ٩٦ هـ - ٧١٤ م ، وقد جاءه وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وهو فيها فتوقفت الفتوح آنذاك وخاصة أن الخليفة الجديد سليمان ابن عبد الملك قد غضب على قيادة اخيه الوليد لموافقته له بتعيين ابنه من بعده بدلا من أخيه ، فاستدعاهم واقتص منهم .

وقد راسل قتيبة من مدينة كاشغر ملك الصين ، وارسل اليه وفدا جعل عليه هبيرة بن الشمرج الكلابي ، فلما كلمهم ملك الصين

قال لهم « قولوا لقتيبة ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم ويهلكه » ، فقال له هبيرة « وكيف يكون قليل الاصحاب من أول خيلسه في بلادك وآخرها في منابت الزيتون(١) ؟ » ، وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاک وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاکرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه » . وقد دفع ملك الصين أتاوة للمسلمين ولم يفرزوا بلادهم ، حيث شغلتهم أحداثهم الداخلية وتوقفت الفتوحات ، وكان الاسلام قد عم تركستان الشرقية التي تقع ضمن الصين اليوم وتعرف باسم سينكيانغ .

اضطهد الامويون الشيعة من اتباع زيد(٢) بعد خروجه عليهم واستشهاده عام ١٢٢ هـ ثم خروج ابنه يحيى من بعده الذي وجد نفس مصير ابيه ، فلجأت طائفة منهم الى الصين فارة بعقيدتها ، واستقرت هناك ونشرت الاسلام في تلك الربوع ، وأدرك الامويون منذ ذلك الوقت أن الظلم لا يمكن ان يجلب اليهم خيرا ، فالقوة والشدة لا تغير شيئا من رأي الناس بهم فكيف بهم يريدون تغيير العقيدة ، وكثيرا ما يخفي السكوت عن الباطل دخان الثورة التي لا تلبث

(١) منابت الزيتون : المناطق التي تصلح لنمو اشجار الزيتون ويقصد بها هنا منطقة البحر

الابيض المتوسط .

(٢) زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، تتبعه فرقة خاصة من الشيعة

واليه ينسب الزيديون في اليمن .

إن تضطرم ، وتلتهب النار الظالم وأهله وإن كان كثير من الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها يسكتون عن غير الحق يرضيهم ما ينالونه ويسيرون في اذعان مثل الجموع وراء كل زعيم ، ولكن اصحاب العقيدة لا يمكنهم ذلك ، فضعافهم يفضلون الهجرة والعمل في دارهم الجديدة ، ومتوسطوهم يصبرون ويسكتون ، وأقوياؤهم لا يزالون قائمين على الحق لا يخشون فيه لومة لائم ، ولا يضرهم من ضل ، ولا يخافون بطش ظالم ، وعناد مستكبر ، وبأس جبار .

توقف انتشار الاسلام الواسع بتوقف الفتوحات الكبرى واضطراب النظام الداخلي وكثرة الاحداث ولكن اذا كان قد توقف انتشار الاسلام والعمل له عن طريق الجيوش والغزوات فان العمل له لم يمت من قلوب المسلمين ولم يضعف من نفوس المؤمنين ففضل كثير منهم العمل بشكل شخصي والتفرغ للدعوة في سبيل الله والانزواء عن الميدان السياسي والابتعاد عن الاحداث في داخل البلاد راغبين في الثواب والاجر في هداية البشر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » . فركبوا البحر يتخذون من التجارة مجالا لنشر الاسلام ، ووصلوا الى ميناء كانتون أهم موانئ الصين الجنوبية والى بقية مرفئء الصين ، وعاملوا سكان البلاد الذين أحبرهم ، ووجدوا فيهم سلوكا لم يعتادوا مثله ، وراوا منهم تجارا لم

يالفوهم ، فاعتنق بعضهم الاسلام حبا بهؤلاء التجار ، وانتشر الاسلام عن هذا الطريق ايضا ، وهكذا فالاخلاق هي الصفة التي يقترن بها المسلم ، وحسن المعاملة والصدق هي السمة البارزة له . وقد احب ملوك الصين هذه النماذج الجديدة من البشر ورغبوا فيهم وأولوهم العناية والرعاية فقد روى أحد الرحالة وهو الشريف حسن بن الجلال السمرقندي من العجائب أن ملك الصين مع كفره ، كان في زعاياه من المسلمين أمم كثيرة ، وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل احد الكفار مسلما قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت اموالهم ، وان قتل مسلم كافرا لا يقتل به وانما يطلب بديته ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

وبما أن التجار المسلمين هناك كانوا يسكنون في بلاد الكفار ، فكانوا اذا قدم عليهم مسلم فرجوا به أشد الفرح ، ويقولون جاء من أرض الاسلام ، ويدفعون له زكاة اموالهم فيعود غنيا كواحد منهم .

وكان التجار المسلمون ينالون ثقة كبيرة من الشعب لذلك حسنت حالتهم المادية وكانوا من الاغنياء ، وسكان الصين أعداد كبيرة تضيق بهم الارض ، ولا تكفيهم زراعتهم واعمالهم ، وتحل بهم النكبات وتصيبهم النوائب ويضطر كثير منهم الى بيع ابناءهم ، فكان المسلمون يشترونهم ، ويربونهم على الاسلام ، ويعتبرونهم ابناء لهم تقربا الى الله رغم ان الرقيق كان هو السائد في ذلك العصر .

اعتقد الصينيون ان المسلمين قد  
ضعفت قوتهم واضمحلت شوكتهم  
وذهبت ريحهم نتيجة الاختلافات  
الداخلية فقد قامت الدولة العباسية  
ودالت دولة بني أمية ، فتقدم جيش  
صيني نحو الغرب في عام ١٣٤ هـ  
٧٥١ م فأسرع المسلمون وهزموا  
ذلك الجيش الصيني وطرده من  
تركستان ، وهكذا تبددت آمال  
الصينيين ، وأيقنوا أن الفئات الحاكمة  
ان اختلفت مع بعضها وتنازعت فان  
الشعب قادر على الصمود يجاهد  
في سبيل الله ، وأن الحكام وان شرعوا  
للناس حسب أهوائهم وشهواتهم  
فان الشعب المسلم يرفض الا شريعة  
الله . وبعد هذه الهزيمة ضعف مركز  
ملك الصين وكان يسمى «سوتسونغ»  
فثار عليه التتار بزغامة انغوشيان  
وذلك في عام ١٤٠ هـ - ٧٥٦ م ،  
فاستنجد ملك الصين بأبي جعفر  
المنصور ، فأنجده بكتيبة مؤلفة من  
٤٠٠٠ جندي قضت على الثورة  
واعادت لملك الصين السطوة . وقد  
يتساءل بعضهم ماهي الفائدة التي  
يجنيها المسلمون من هذه النجدة ؟  
انه مما لاشك فيه أن من مصلحة  
المسلمين ان تكون على حدودهم دولة  
متداعية لهم فضل حمايتها ، وهذا  
الفضل يجعل انتشار الاسلام  
سهلا حيث لا تقف امامه الدولة وهو  
دين الفطرة فتقبله النفوس وتعتنقه  
القلوب ، وهذا خير من ان تقوم دولة  
جديدة تستنهض الشعب لقتال  
المسلمين وتحارب دينهم . واستقر

اكثر جند هذه الكتيبة هناك وتزوجوا  
من نساء صينيات ، فعرفوا على  
حقيقتهم ، وعرف واقع دينهم ،  
فتقبل كثير من الصينيين هذا الدين  
واعتنقوه ، وتناسل المسلمون  
بسرعة اكثر من الصينيين حتى  
تكاثروا ، وزاد عددهم ، وأصبح  
لهم وزن في الحياة العامة ، فقد  
ثاروا في مدينة كانتون عام ١٤٢ هـ -  
٧٥٨ م على الضرائب الباهظة التي  
فرضت عليهم ، واستطاعوا ان ينالوا  
حقهم ، وبأخذوا مطالبهم . هذه  
الزيادة في عدد المسلمين دفعت  
بالمعتصمين من الوثنيين ان يقاوموا  
المسلمين ، ولما لم تستطع الحكومات  
ان تؤمن مطالب هؤلاء المتطرفين قام  
أحد الثوار من المعتصمين يقاتل  
المسلمين وقد افنى منهم ما يقارب  
مائة الف مسلم وذلك في عام ٢٦٦ هـ  
- ٨٧٩ م .

وفي أيام جنكيز خان استطاع أن  
يصل الى حكم منطقة يونان رجل  
مسلم يعرف باسم السيد الاجل  
فحكم المنطقة بالعدل وانتشر فيها  
الاسلام ، ومات السيد الاجل عام  
٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م ، وبقيت أسرته  
واحفاده اصحاب مركز الى القرن  
العشرين لما كان للسيد الاجل من  
فضل على المنطقة ، وتقدير الشعب له .  
وبعد جنكيز خان تولى الملك ابنه  
اوجداي خان ، وكان قائدا ماهرا ،  
ولكنه توفي فجأة عام ٦٤٠ هـ -  
١٢٤٢ م ، وقام نزاع على وراثته  
العهد ، واخيرا استولى على العرش

مانجوخان عام ٦٤٩ هـ - ١٢٥١ م  
فولى اخاه قبلاي خان امبراطور اعلى  
الصين ، وسير اخاه الثاني هولوكو  
ليغزو غرب آسيا ، وكان هذا عدوا  
مبيناً للإسلام .

وقد استعمل قبلاي خان عددا  
من العمال المسلمين في منطقة يونان،  
لما عرف عن العمال المسلمين من  
اخلاص في العمل ، واتقان في الصنعة،  
فالعامل المسلم مثال النزاهة  
والتضحية ، فهو يعمل بحسب ،  
ويأخذ أجره بحق ، ويحاسب نفسه،  
ولهذا كانت البضائع الاسلامية تفوق  
كل مثيلاتها . وقد استقر هؤلاء  
العمال في منطقة يونان كما شجعوا  
المسلمين على الهجرة الى تلك  
المنطقة .

أسلم الاويغور (١) وهم سكان  
منطقة كانسو ، فلما أسلموا أسلم  
جميع سكان الشمال والغرب من  
مملكة جغتاي (٢) ، وأضحى المغول  
من المسلمين الذين يعملون لنشر الدين  
وكانت الصين مقسمة الى تسعة اجزاء  
يحكم كلا منها خان نيابة عن الخان  
الاعظم وهو ملك المغول . وقد  
استطاع الصينيون طرد المغول عام  
٧٧٠ هـ - ١٣٦٨ م ، واثاء طردهم  
قتلوا اعدادا كبيرة منهم .  
ومع ذلك فقد بقي الاسلام  
ينتشر بين سكان الصين ، وقد ساعد

في هذا الانتشار أن المسلمين لم ينتقدوا  
مبادئ المعلم الصيني كونفوشيوس ،  
فتجنب هذا النقد حماهم من الاصطدام  
المباشر مع اتباعه الذين يمتنون القسم  
الاعظم من السكان ، وعلى هذا  
فالدعوة تكون بتبيان المبادئ وعرضها  
بشكل سليم وصحيح دون نقد  
غيرها ، لان هذا النقد لا يؤدي الا  
الى قيام رد فعل من قبل اصحاب  
المبادئ الاخرى ولو كانت هزيلة  
وسطحية ، حيث كثيرا ما يتعصب  
الناس لمبادئهم عن غير علم .

واستمرت الدعوة للإسلام حتى  
غدا الحكم للأسرة المانشورية التي  
استمرت سيطرتها أكثر من ثلاثة قرون  
( ١٠٥٤ - ١٣٢٩ هـ ) ( ١٦٤٤ -  
١٩١١ م ) فقد اضطهدت هذه  
الأسرة المسلمين وسأمتهم سوء  
العذاب ، فصادرت املاكهم ، واخذت  
اموالهم ، وانتهكت حرمتهم ، مما  
جعل الثورات تندلع من كل مكان  
من قبل المسلمين ، وقد لجأ الحكام  
الى الحيلة والدسائس بين المسلمين  
حيث فرقوا صفوفهم ، واخمدوا  
ثوراتهم ، واخيرا استتب لهم الامر ،  
وستتكلم عن اهم هذه الثورات عندما  
نتكلم عن مناطق تجمع المسلمين في  
الصين .

- للبحث صلة -

(١) الاويغور : القبيلة التي انحدر منها جنكيزخان .

(٢) جغتاي : هو الابن الثاني لجنكيزخان وقد جعله على منطقة تركستان والاويغور ، بينما كان

ابنه اوجداي ولي عهده .